محمد الاسعد

يوميات في بيروت الغربية

الاهداء : الى مقاتلي القوات الفلسطينية واللبنانيةالمشتركة .

— ١ —
مملكة ظامئةٌ
توّجني الصمتُ
ايتها الاجراسُ
من ادخلَ الليلَ الى قلبي ؟

— ٢ —
اتحدثُ عن وجهٍ آخر للارضِ
تغيب الشمس بـه
نـولدُ
لا نبصر غير غياب الشمس
وننمو بين الاشواك
فلا نبصر غير غياب الشمس
نمـوتُ
وليس سوى شفقٍ ينطفيء
تموت الشمس
ويبدأ حلمُ الاطفال الموتى

— ٣ —
رأيتك قادما ما بين آونة واخرى
يا صديقي
هل خرجنا ذات يومٍ
لم نَرَ الايـام بعدُ . .
ترى نغادرُ
نشتهي .. ؟
مدنٌ ندجّنها
نخبيء صوتها
نبكـي ..

— ٤ —
في جسدي الواقف
استيقظ للعتمة والاجراس
اقول ليأت حبيبي ذو الفاكهـة
الليلية
والقمر الصيفي
ليأت النصف الاول من صـوت
حبيبي
وليبق النصف الاخر مصلوبا
في هيئة طيرٍ مسحولٍ
يتردد بين سنين حبيبي

— ٥ —
ترافقني الارض
شعبا من الطيريخلع سلطانه
في البكور وفي الغبشِ الطحلبي
تفاجئني بالممالك
نهـرٌ هنـا
او فضاء يمارس ايمانـهُ
شجرٌ للسؤالِ
عواصم ينقسم الخلق فيها
فنصف يبايعني
ونصف يقاتلني

— ٦ —
سـنبدأُ
حشد من الرمل والزهر والطرقات
القديمة يبدأ فينا
نقيم كنائس للجسد المستفيق
فيأوى الضباب اليها
وتأوي الحقول المبادة
نوصي بما اودعتنا العصور مـن
الثمرِ الجاهلي
لحشدٍ من النسوة الوثنيات
نموتُ على العشب والطرقات
وترحل عنا طيورُ

— ٧ —
وقالوا لكـم
من اقام له جسدا لا يدجّنهُ
موتا يموتُ
اقـول لكـم
من اقام له جسدا لا يناقضهُ
موتا يموتُ
وقالـوا لكـم
في تقاويمهِ الازليةِ كلٌ سنعطيهِ
دينارهُ
ثم تنظرون حسابا بما تثمرونُ
اقـول لكـم
في تقاويمهم تخلقـون دنانير
للمتخمينُ
وبين الخرائب تحتضرونُ
وقالـوا لكـم
دولة اول الابجدية
ثـم أزهارٌ
فمجـدٌ
فطوبى لمن يحملون كتاب القبيلة
اقـول لكـم
اول الابجدية شمسٌ
فمنفـى
فسـجنٌ
فطوبى لمن رافق الشمس بـين
الغرائبِ
يبحث عن شبحٍ للطفولةُ
وقالـوا لكـم
لن يكون طريقا سوى ما يؤلف بين
القلوبُ
اقـول لكـم
لن يكون طريقـا
سوى ما يقاسمكم شهوة البـوح
والدمٌ
حول لسانٍ من الدمٌ يصرخُ بين
القرى والبيوتُ

لساحلك الآن تأتي الطيور

لهذي السماء بياض الحجارِ
لهذا الخضار نشيجٌ
لصوتك دهشته :
اين ترحل هذى الدماءُ
متى يوقظُ الاحمرُ الاخضرَ

المستحيلُ ؟
لساحل الان تأتي الطيور
القواقـعُ
يبني الفضاءُ ممالكهُ
لسانك الان اجراسه
صمته الابدي
فأنت الذي لا يعود
وانت الذي تأخذ الارض في وجهه
طفلها البربريّ الجميل

* * *

اقلتَ بأنك تأتي ؟
تبايع شعبا من الغيمِ
تحشد في مدن للطفولة
شمســـا
كواكب مهملةً
قلت يأتي زمان الوصولْ
وتفتح اسوارها
مدن الله والعشب
يخرج من عتمات الازقة سيل من
الفقراء
قـادمٌ
ذاهـبٌ
جـارحٌ
في قرار الفصول

* * *

سأذكر هذا التشرد
تحت السماء الخفيضة
تحت السقوف الظليلة
بين المقاهي
وفي غرف تتكدس فيها
سنينٌ من الوحلِ والدم
نبحث عن وطن ماتَ
أو وطنٍ لا يموتْ
سأذكرُ انا خلعنا سلاطينهم
نحن فاتحة الارض
نملك هذا الحنينَ
وهذا التوهجَ
والانفجارْ
ونملكُ آيتنا الوثنيةَ
ذا دمنا فليكن وطنـا
ذا حبنا فليكن حطبا
للبيوت

* * *

اتذكـرُ .. ؟
للموتِ ايقاعهُ
هنا أو هناكَ
وانت المعاصرُ في فمكَ الثمرُ
البابليُّ
ـ بماذا يملّح لو فسد الملحُ ؟
آه على الفقراء يبادون
والقادةُ الهاربونْ
ضيوف لاعدائهم
آهٍ من وطن لا يناقضه البرق
لا يجاسده البرق
لا يتحول
لا يشتهي أن يكون

* * *

لهذى السماء التماع الدموع
لهذا الخضار نشيج الضحايا
وفي مقلتيك نداء الطيور البعيدة
شعب من الغيم يبدأ تكوينه
سحب في البراري
يبايعها الغرباء
مدائن للذة الاجنبية
تقاتل اطفالها

* * *

سأذكر ظلاً لزيتونةغادرتها الحمائم
نهرا من الشجن الاخضـــر الان
يرحل نحو البلاد
سأذكر شعبا يقاتل كل العواصم
بين الحريق وبين الحريق
يقيم لاطفاله وطنا
وتفتح اسرارها
مدن الله والعشب
يخرج من عتمات الازقـــة
سيل من الفقراء
اقلت بانك تأتي ؟
لصوتك طعم الصدى
قادمٌ
ذاهـبٌ
جـارحٌ
في قرار الفصول

جمال الفلسطينيّ يتحدث عـن ملح الأرض

لغرفته الجانبية رائحة الماء والتبغ
لون الدهاليز
القتامُ
الرطوبةُ
لغط الذين يمرون
أو يضمحلون في الليل
تحت النـوافذ . .
كنت اواجهه في حوار طويل
واتركه
يتجول بين القرى
والسرير
واحلم اني رأيت الذي لا يرى
وقاسمته الخبز والظـل بـين
البيوت
ضحكنا سويا مع النسوة القرويات
دخلنا سويا نضاجع امرأة
أو نعابث اخرى
احدق فيـه
واسلبه
ذكريات الحقول التي نام فيها
وجوه النساء التي يشتهيها
أنصبه ملكا أو اميرا
ارافقـــه
حين يخلع عن كاهليه الرداء المزق
بعد نهارٍ
من العمل المستميت بصـــبغ
العمارات
يطويه تحت الوساد
ويصغي
الى حمحماتٍ
دروبٍ
توهج مملكةٍ لا ترى

* * *

وحين يقوم الى الشاي كنت ارى
وجهه جانبيا
كعصفورةٍ في البراري
يميلُ على الكلمـاتِ
يفتش عـن حبةٍ
او يراقب شيئا يحس به في مكان
ـ رحلت الى الناس
ثـم رجعـتْ
وكان الزمانْ
زمان الجلود وتبييض آنية الناس
نأكل حين نجوع
ونضحـك ..
آهٍ من الفقر
نادمت شعبا من الفقراء

يحشش بعد النهارِ
ويأخذ كلّ بضاعته في النهار
ندور هنا او هناك
وعند الغروبِ يوحّدنا الليل
والانذهال
أتعلمُ .. ؟
ان اخي من يشاركني خبزتي
قهوتي ..

* * *

ويرشف من كوبه
يستدير
لعينيه غمغمة العشب
اسمرَ
أخضرَ
ذا بشرةٍ وثنيّة
وبين يديه فضا يحاول امساكه
احاول امساكه
واحلم اني ابادله طائرَ العمرِ
افتح شباكه كي يهبَ
واسأله
أأحببتَ .. ؟
يضحك ..
ـذات نهار
تفتّح نهر اغان بعينيّ
حين عملت لدى سادةٍ وتركت
التجولَ
كانت تطل عليّ
فأبكي من الشوق
ثم اشد عيوني الى الارض ..
ماذا تفكر يمتلك الفقراء
بقاع عواصمنا الاجنبية ؟

* * *

عملت ببيروت ماسح احذيةٍ
وعامل مقهى
بعمانَ في زمن للتموجِ والدمّ
قاتلت سمسارها الملكيّ
وفتشت عن لقمتي بعد أيلول
كنت صغيرا
احاول فكَ الرموز
واعرف ان الغنيَّ يسد امامك
ابوابه
ويرسل شرطته والكلاب وراءك
اعرف ان الفقير يؤاخي عذابك
اعرف ان المعادن انقى
اذا غوّرت في الترابِ
وان البلاد التي خلعتنا
هي الحلمُ
لا نشتهي
او نحبّ من القلب
او ننتهي
في سواها

* * *

ويصمتُ
في الغرفة الجانبية
اصمتُ
بين القتامِ
الرطوبةِ
رائحة الماءِ والتبغِ
لغطُ الذين يعودون في الليل او
يضمحلون
تحت النوافذ
بين القرى
انصّبهُ ملكا او اميرا
ارافقهُ
حين يخلعُ عن كاهليه الرداءَ
المزّقَ
يطويهِ تحت الوسادِ
ويصغي
الى حمحماتٍ
دروبٍ
توهّج مملكةٍ لاترى

نيسان ١٩٧٦